حول كتاب سارتر :

عاصفة على السكر !

بقلم الدكتور عبد الله عبد الدائم

كتاب سارتر « عاصفة على السكر » (١) ، على عفوية اسلوبه وبساطه افكاره ، يثير في ذهن القاريء اجواء عريضة وسبلا متوالدا من المشكلات . انه ينتقل به في كل خطوه الى ذكريات تتصل بمسائل تكاد تكون خطا مشتركا بين الكثير من البلدان المتخلفه التي عانت من تحكم الاستعمار ومن استغلال الطبقة الاقطاعية والراسمالية . ويجد فيه القاريء العربي خاصة صدى لكثير من اوضاع بلاده ولقاء ثوريا مع امهات الافكار التي تخلق الثورة في نفوس جيلنا العربي الجديد .

انه قصه كوبا ، قصة البلد الغني بثرواته الطبيعية ، الغني بسكره ، والذي يحيله الاستعمار الخارجي والاستغلال الداخلي بلدا فقيرا يشقى بسكره ، ويفتقر بغناه . ولعل مثال « كوبا » مثال نموذجي صارخ يعبر عن هذا الفراق الاساسي بين ثروات الطبيعة في بلد متخلف وبين سوء البشر ، ويفصح عما يؤدي اليه هذا الفراق من تناقضات تثير الفقر والعار ، والعار شعور ثوري كما اشار الى ذلك ماركس . وهو بعد هذا وفوق هذا درس قاس للبلدان التي تحسب التناقض في حياتها امرا يمكن ان يستمر ويبقى ، وللحكام الذين يحسبون ان تجاهل التناقض يمكن ان يزيل الشعور الثوري بضرورة تحطيمه .

لقد اخذت « باتيستا » ديكتاتور كوبا منذ عام ١٩٥٢ ، احلام الحكام وسدر في ضلالاتهم واغوته القوة ، قوة الجيش الكوبي الذي كان يدعمه والذي كان السند الصريح للملاكين الكبار واطمأن الى عنف رجال الشرطة والى رئيسهم الذي كان يعبد العهد « لانه كان يقبض كل صباح عشرة الاف دولار ضريبة على العاب القمار في هافانا » . وحسب ان القوة تستطيع ان تغلب الشعوب وتقضي على روح الثورة ، فاذا بقبضة من الرجال « العصاة » لم يكونوا يجاوزون في البداية ثلاثين ، يصعدون الى قمم جبال « ماسترا » اعلى سلسلة في الجزيرة ، ويختبئون في فراء السحب ، ويضيئون من هنالك شعلة الثورة ضد كل ذلك الدرع الحديدي الزائف . وتغير كل شيء عندما زهد هؤلاء القلة بالحياة مرة والى الابد ليعيدوا الى الجزيرة حياتها والى الفلاحين وجودهم . ان كل شيء كما يقول سارتر ، يتغير بالنسبة لانسان يكون الموت هو اعمق اسراره واكثر خطوطه مباشرة : فاذ ذاك تصبح المشاريع المستحيلة ممكنة ، وتغدو على قياسه وقده . ان النظام القائم يحتفظ ببدهياته في نظر الاشخاص الذين يريدون الحياة . ولكن حين يختار المرء العذاب والموت ، وحين يعبر « هذا الاختيار عن نفسه بتجنيد حقيقي للقوى الحية ، فان العود الى النظام هو الذي يغدو الاستحالة الجذرية » .

لقد كانت صرخة الكوبيين « الحرية او الموت » وتناول كاسترو هذه الصرخة وعدلها فقال « الامة او الموت » . لقد كان العنف اقوى من ان يكبح ، وكانت الثقة شاملة كاملة ، وكان كل شيء ، يستمد قوته من الغضب ، من التمرد ، من الشعور بالفضيحة والعار .

وكيف لايخلق الشعور بالعار في نفوس جمهور الناس وكيف لاتجسده الفئة الثورية ، حين تنقلب الامور في بلد مثل كوبا ، فاذا بالثروة تغدو فقرا ، واذا بالغنى يصبح تبعية ، واذا بكل رنة هاتف وكل تلألؤ نيون ، يتحول قطعة دولار صغيرة تغادر الجزيرة الى الولايات المتحدة الاميركية والى القارة الاميركية وتجد في انتظارها ملايين الدولارات التي سبقتها الى هذا المصير ؟

كيف لاتثور جزيرة كانت تحسب انها تعيش من السكر ، فاذا بها تكتشف ذات يوم بانها تموت من السكر ، ويقتلها داء السكر ؟

لقد اراد الاستعمار ، ممثلا في الولايات المتحدة الاميركية ، ان تكون اميركا الجنوبيه لاميركا الشمالية . ورأى روزفلت ، رجل الاستعمار الاقتصادي ، ان ليس امام الولايات المتحدة الا وسيلة واحدة لاعادة توظيف رساميلها الفائضة : وهي ان تصبها على البلاد الجديدة في اميركا الاخرى ، اميركا الجنوبية ، ولا سيما كوبا التي كان سكرها يسيل اللعاب . ومنذ عام ١٩٠١ كانت الولايات المتحدة قد عرضت على كوبا ـ لانها كانت تحبها ! ـ ان تدفع لها ثمن نتاجها الرئيسي اكثر مما يساوي . وكان العرض يخفي شركا . ولكن اعيان الكوبيين رموا بانفسهم فيه ، واعمت الجميع ثروة الجزيرة المفاجئة المجنونة . وهكذا باعت كوبا نفسها في الواقع ، ولم تدرك ذلك الا بعد فوات الاوان .

لقد عرفت الولايات المتحدة ان تسترد بالشمال ماكانت تقدمه باليمين ، فاذا بميزان التجارة معها خاسر الى الابد ، واذا بالجزيرة تغرق ببضائعها ، من الحاصدات والرافعات الالية الى السجائر . بل ان اتفاقها مع الولايات المتحدة فرض عليها مصيرا زراعيا محزنا : فاذا بها تزرع القصب والقصب وحده ، من اجل الولايات المتحدة ، واذا بكوبا ، اخصب مقاطعات اميركا ، تضطر الى ان تستورد من الولايات المتحدة ثلث مواردها الغذائية ، بل نصفها في بعض المقاطعات واذا بالبندورة والارز وسائر المنتجات الزراعية تتدفق على البلاد من خارجها ومن دول اميركا الاخرى او من الولايات المتحدة نفسها . وهكذا كانت تدفع كوبا بالدولارات

---

(١) ترجمت الكتاب الى اللغة العربية حديثا السيدة عائدة مطرجي ادريس ترجمة فيها وضوح ودقة .

دولارات السكر ، ثمن حقها في الاحتفاظ بغذائها .

اما دولارات السكر هذه ، الدولارات الجميلة ، فان الكوبيين لم يكونوا مع ذلك يرون لونها : لقد كان هذا القطع النادر يصرف مقدما . وكان يبقى في الولايات المتحدة ، في مصارفها ، ليساعد على تامين حاجات الجزيرة ! بل انه لم يكن كافيا لتامين هذه الحاجات مادام على الجزيرة ان تشتري كل شيء لانها لاتنتج شيئا ، وما دامت البندوره والبرادات تترك المرافيء الاميركيه افواجا فتحملها السفن الى كوبا !

وهكذا كان يتضخم الدين الكوبي باستمرار ، وكانت حكومات واشنطن تحدد اسعار السكر وكمياته كما يروق لها ، ولم يكن على كوبا الا ان تصمت . لقد امسكت واشنطن بخناقها ، لانها كانت وستظل الزبون الوحيد الذي يدفع ثمن السكر اغلى من الثمن العالمي .

وسارت المؤامرة الاقتصادية الاستعمارية جنبا الى جنب مع فساد الوضع الاجتماعي وسيطرة الاستغلال الداخلي . وادى تضخم السكر الى تهديم بنيان المجتمع الكوبي وتزييف شتى مظاهره ، واقام توزيعا سيئا للدخل ، وكان من نتيجة هذه الزراعة الواحدة الوحيدة ان تجعل ثروة البعض وترفهم على حساب بؤس الجمهرة الكبرى من المواطنين . .

لقد ادى تدفق الرساميل الاميركية ، وتصرف الولايات المتحدة بالكوتا ، الى تجمع الاراضي الكبيرة في ايدي قلة من اصحاب رؤوس الاموال في كوبا ، وخلقت ، نتيجة لذلك المشروعات الكبرى الضخمة ، حتى ان ١٦١ مشروعا غدت تملك او تراقب ١٨٤ الف « كاباليرياه » (الكاباليرياه يساوي زهاء ١٣ هكتارا) اي ٢٧ ٪ من الاراضي القومية .

وأين كان ملاك هذه الاراضي الكبيرة ؟ لقد كانوا غائبين عن اراضيهم ، كما هي العادة . .فهم يعيشون في هافانا وفي نيويورك ، ويسافرون الى اوروبا . ومدراؤهم يوزعون الاعمال على عمال يوميين لايتقاضون الا رواتب اربعة اشهر ، من تشرين الثاني الى شباط ، وعليهم ان يعيشوا ثمانية اشهر عاطلين ، يستدينون من سكان القرية او من صاحب العمل .

وهكذا كانت الاراضي بلا رجال ، وكان يحرثها رجال بلا اراضي . بل كان هؤلاء الملاكون الكبار يكتفون باستثمار القسم الذي يكفيهم من الاراضي ، ويذرون الباقي بوارا . ولم يستغلون الاراضي كلها ؟ ان الاراضي العذراء شيء جميل جدا . ويكفي ان يستغل منها ما يسر طلبات الزبون ، طلبات الولايات المتحدة . اما ما تبقى فليكن طبيعة ، وليترك للشمس والبحر . وهكذا كان هؤلاء الرجال « الذين يرهقهم حتى في باريس ذكرى حرارة استوائية كانوا يفرون منها » ، يملكون ١٨٠ الف «كاباليرياه» او يراقبونها ، ولكنهم لم يكونوا يزرعون منها اكثر من ١٢٠ الفا . لقد كانوا يريدون انتاجا مرنا وحكيما يتبع تماما ما ترسمه اهواء « الكوتا » .

وطبيعي في مثل هذا النظام ان يكون قوامه قلة الرواتب وهزالها الى حد لا يكاد يصدق . فليس من الممكن لوقت طويل بيع منتوجات زراعية ، حتى بأغلى الاسعار ، مقابل آلات حديثة ، الا اذا كانت اليد العاملة الريفية لا قيمة لها : ولا بد من البطالة وزيادة السكان ليكونا مساعدين على تلك المهمة ايضا .

على ان تلك المهمة لا بد ان تجذب اليها فوق هذا كله ادواء المجتمع كلها . لا بد للنظام الرأسمالي ان يقوم بوظيفته كاملة غير منقوصة . لا بد للامية ان تكون سندا له وعونا وان تلعب دورها في هذا الميدان . اذ لا بد للشعب الذي يفتقر ليزيد غنى اغنيائه بملء ارادته ، ان يظل في جهله ، لئلا يكتشف الفضيحة . وتعليم القراءة يعني اصدار الاحكام . فالخير اذن الا نعلم الشعب شيئا وان نبقيه في نعيم الجهالة .

لقد كان نصف المدرسين في عطلة غير محدود عندما تولى كاسترو السلطة . وكان عدد الاميين قبل عام ١٩٥٩ زهاء ٤٥ ٪ وكان معظم هؤلاء ان لم يكن كلهم من الفلاحين ! ويحدثنا كاسترو نفسه عن دراسته في «هافانا» وعن الخيبة التي اصابته بسببها : لقد تعلم عبث الكلمات ولا جدواها ، وكان الاساتذة يتكلمون لكي لا يقولوا شيئا امام فتيان حائرين .

وبعد هذا كله يضع معجم الاستعمار بلدا مثل كوبا في زمره البلدان المتخلفة اقتصاديا ، ويستخدم هذه العبارة المتأدبة ! وهذا صحيح ، ولكن السبب في ذلك هو ان بلادا اخرى ، بمعونة الاستغلال الداخلي ، هي التي حالت بين ذاك البلد وبين النمو والتطور .

وماذا كان يفعل الجيش الكوبي وسط هذا كله ؟ لقد كان هذا الجيش ، وعدته خمسون الف رجل ، جيشا مرتزقا مأجورا وكان يدعم مصالح الملاكين الكبار ويدعم النظام السائد ما دام أسياده الحقيقيون يجدون فيه مصالحهم . ويعجب سارتر من هذه الشعوذة المخيفة . « كانت السيادة القومية تجد أقوى تعبير لها واعظم سند في المؤسسة العسكرية ، وكان الجيش الذي صنعته ، بوجودها واصولها ومواقفها الجريئة المخلصة ، يصبح حتى من غير ان تنتبه الى ذلك ، المطرقة العالقة التي كانت تفتتها . .

وما كان لهذا كله ان يدوم ! فاما ان يكون الكوبيون قرودا او يكونوا ثوريين . لقد زادت نسبة البؤساء في الشعب خلال خمسين عاما اربعة اضعاف ، وغدت الجمهرة العظمى من المواطنين فلاحين يعيشون في تلك الاكواخ القذرة ، اكواخ « البوهيو » التي خلفها الهنود الحمر منذ ثلاثمائة سنة حين غادروا الجزيرة . اكواخ بنيت بالواح خشبية تقام حول عمود يحمل سقفا مدببا مصنوعا من سعف النخيل . ارضها من طين ، يعوزها كل شيء حتى المراحيض . وينغل على ارضها السوداء الباردة اولاد عجاف مرضى . اما الرجال فقد ذهبوا الى الحقول يعذبون الارض ليطعموا أجانب وملاكا غائبين ، وليشتغلوا وبطونهم خاوية .

لقد زرع الاغنياء ، بحقنات مكثفة من الدولارات ، الفقر وندرة المؤن والجهل ، في قلب خصوبة لاتصدق . وادرك كاسترو وصحبه هذه المفارقة التي تزداد

مكتبة عبد القيوم

زوروا مكتبة عبد القيوم ببورتسودان تجدوا احدث المطبوعات العربية ، وكذلك مجلة الاداب البيروتية ومنشورات دار الاداب .

وضوحا يوما بعد يوم ، وحدسوا بهذه الفضيحة العميقة وهي ان الطبيعه خيرة وان الانسان هو الذي يصنع الشر . وكان الفقراء والفلاحون يشعرون بهذه الفضيحة من غير ان يدروا وهكذا اكتسب كاسترو لنفسه حق قيادتهم الى النصر .

لقد انطلق كاسترو وصحبه من هذه النظرة الموحدة الثورية ، النظره التي ترى فساد النظام بكامله وتكامل هذا الفساد ـ واكتشف انه لابد ان يكون في وقت واحد ضد اساتذته وضد عائلته وضد طبقته . وهذه الرؤية الموحدة للمشكلات الكوبية هي التي انطلق منها ، وهي التي غدت فيما بعد « حقيقة الثورة » . لقد كان الاخصائيون اذ ذاك يعزون مصائب الجزيرة ، بكل رضا وطمانينة الى الطبيعة القاسية او الى ظروف التاريخ . اما نظرة كاسترو الثورية العميقة فقد جعلته يبحث عن المسؤولين بين البشر انفسهم . ومن هم رؤوس المسؤولين ؟ لقد كانوا كبار الملاكين الكوبيين والرأسماليين الاجانب دون شك . ولكن المسؤول قبلهم وفوقهم هو الجيش الكوبي الذي يحميهم ويحمي مصالحهم . انه اذن أعدى أعداء الامة الكوبية ، انه الحجر الذي لابد من تحطيمه . وهكذا قرر ان يعود من المكسيك الى الجزيرة ، ومعه رجاله المسلحون القلائل ليشتت الخمسين الفا من الرجال المسلحين الذين ينتظرونه .

وكان ذلك في اول كانون الثاني من عام ١٩٥٧ . وكانوا قلة . كانوا ثمانين قدموا من المكسيك ، لم يصل منهم الى قمم جبال « الماسترا » الا ثلاثون ، ولكن الثورة لم تكن ثورتهم وحدهم . لقد اتضح منذ البداية ان الثورة الكوبية ستكون ثورة فلاحين او لن تكون ابدا . وهكذا اصبح الفلاحون الحلفاء الطبيعيين للثوار . ولم يفكر كاسترو ولا رجاله ان يحالفوا الفلاحين بالارهاب على الاطلاق . بل عاشوا واياهم حقيقة اوضاعهم وعرفوا معهم تمردهم ونقمتهم ، « ولكي يصبح الفلاحون متمردين، جعل المتمردون انفسهم فلاحين » فاخذوا يشاركون في اعمال الحقول ويشاطرون سكانها حياتهم وجهدهم وبؤسهم .

وسارت الثورة واخذت طريقها وسط الحقول والمزارع وكان الثوار ينبعون من الارض كالينابيع ويتشققون من التربة كسيقان قصب السكر . وكان حكم « باتيستا » الديكتاتوري يرهب ويعذب ، حتى بلغ ماقتله في عامين عشرين الف رجل . ودفعت ثورة ٢٦ تموز ـ كما سميت فيما بعد ـ الثمن غاليا . وانتصرت منذ مطلع عام ١٩٥٩ . وظلت بعد انتصارها ملكا للامة كلها وللفلاحين خاصة . وكان يوم ١٧ أيار ١٩٥٩ يوم الحقيقة بالقياس الى الكوبيين جميعا ففيه ابرمت الحكومة قانون الاصلاح الزراعي وابتداء من ذلك اليوم لم يبق للاجانب أي حق بالحصول على اية ذرة من الارض الوطنية . وابتداء من ذلك اليوم الغيت الملكيات الكبيرة « اللاتيفونديا » ولم يعد يحق للشخص ان يملك اكثر من ٣٠ كابااليرياة « ٤٠٠ هكتار » واخذت الدولة تصادر املاك الشركات والاشخاص مقابل تعويض يدفع بوساطة سندات . ثم يعاد بعد ذلك توزيع الاراضي المصادرة توزيعا قوميا شاملا .

على ان اهم ما في قانون الاصلاح الزراعي هذا ليس التوزيع لمجرد التوزيع والعدالة . فالاصلاح الزراعي في نظر الثورة الكوبية ليس تدبيرا سلبيا ، وانما هو في نظرها التنظيم الرئيسي للقوى المنتجة ولعلاقات الانتاج . ان مقدمة هذا القانون التي وضعها كاسترو ، لاتقف عند البؤس والظلم الاجتماعي وعند المسؤولين عنها بمقدار ماتقف عند فعالية

ـ التتمة على الصفحة ٧٩ ـ

صدر عن :

دار الطليعة للطباعة والنشر

ص.ب ١٨١٣ ـ تلفون ٢٥٧١٧٨

حين فقدنا الرضا

رائعة جون شتاينبك الجديدة
ترجمة سميرة عزام

التلميذ والدرس

تأليف مالك حداد
ترجمة الدكتور سامي الجندي
نموذج للادب الثوري الجزائري

وجها الحياة

تأليف البير كامو
ترجمة الدكتور سامي الجندي
ثلاثة كتب في كتاب واحد

ثائر محترف

تأليف مطاع صفدي

الفتح القصصي الذي ارتفع بالقصة العربية ذات الفكرة الى مستوى عالمي جدير بالاعجاب والتسجيل

صمت البحر

تأليف فيركور ـ ترجمة وحيد نقاش
القصة التي جعلها جان بول سارتر عمادا لأروع فصل نقدي صدر عنه في تحديده للادب

زمن الرعب

تأليف انعام الجندي
قصة الجيل الذي عزل عن قضايا بلاده القومية وصراعه مع الاجيال الصاعدة

عاصفة على السكر

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٤ ـ

الانتاج ونشاطه . فتنمية الانتاج الجماعي للامة يقتضي رفع انتاج كل فرد . والسبيل الاول لذلك تصنيع الزراعه بالاضافه الى شفاء الفلاح من امراضه الثلاثة : البؤس والمرض والجهل .

وتدأب الثورة في عملها . شبان صغار لايجاوز اكثرهم الثلاثين من العمر ، ولا يجاوز قائدهم كاسترو هذا العقد الثالث . وزير الاقتصاد في التاسعه والعشرين من عمره ، و « غيفارا » احد زعماء الثورة الكبار يطوف حول الثلاثين . وشبابهم هذا ينقذهم ، اذ يتيح لهم ان يباشروا العمل الثوري في صلابته وقوته . عمل مستمر طوال الساعات الاربع والعشرين منذ اربعة عشر شهرا . والليالي في معظم الاحيان بيضاء لاتعرف فيها اجفان رجال الثورة طعم الكرى . وبين ساهري الليل هؤلاء ، كان كاسترو اشدهم سهرا . وبين جميع هؤلاء الصائمين الذين يتبلغون بلقحات مكتبهم ، كان كاسترو اقدرهم على الطعام واقدرهم على الصوم . لقد عرفوا جميعهم من قبل طعم الجوع وطعم الارق ، يوم كانوا على رؤوس الجبال لاتصلهم المؤن الا لماما ويوم كان « غيفارا » لايتناول طوال خمسة واربعين يوما اكثر من احدى عشرة وجبة . وفي مقابل تضحياتهم هذه من اجل الامة يرفض هؤلاء ان يبذروا مالها . ان احدهم حين يذهب الى خارج البلاد يأبى الا السفر في الدرجة السياحية مثلا .

واهم مايميزهم التمرد والروح الانسانية . ان الثقافة نفسها تتضاءل امام مواقفهم الانسانية الحية ، لان اعمق الثقافات تتحول الى اوراق ميتة ، الى كلمات : حين توضع امام وعي ثوري عميق . انهم لايحبون الايديولوجيات ، فيما يرى سارتر ، ولكن واقع كوبا هو الذي يرشدهم الى احسنها واعمقها . ان اعمق صفاتهم انهم متمردون الى الابد . لقد زهدوا بالحياة فمنحوا معنى الحياة .

وماذا تفعل الولايات المتحدة الاميركية في حمى تلك الثورة ! انها تحاول التآمر والتخريب دون شك ، وتنسف الباخرة الحربية « لوكوبر » ، وتقيم في الجزيرة وضعا من القلق والتوتر ، وتحيل المعركة الى صراع ينمو ويتزايد بين مصالح الجزيرة وبين مصالح الشركات الاميركية الخاصة ولكن هذا كله يمنح الثورة دما جديدا ، ويزيد في قوة التمرد والحقد ، انه يكشف للكوبيين بجلاء ان وراءهم اعداء لايتورعون عن قتلهم في سبيل المصالح ، ويحتقرون الشعب الكوبي وحقوقه ، يحتقرون قاطع قصب السكر وعامل المرفأ . ان هذا الخطر الدائم الذي تواجهه كوبا من اعدائها هو مصدر قوتها ، وهو مصدر قوة ثوارها ، وهو المولد الذي ينتج اكبر قوة لصالح الثورة . انه يعيدها دوما الى التمرد والعصيان . ولو لم تكن الولايات المتحدة موجودة ، « قربما كانت الثورة الكوبية تخترعها ، فهي التي تحفظ عليها نضارتها واصالتها » . فالكوبيون ، في مختلف نواحي الجزيرة ، يجدون انفسهم الان تجاه الولايات المتحدة في وضع مشابه لوضع المتمردين في سلسلة جبال « ماسترا » في عام ١٩٥٨ عندما كانوا قلة امام خمسين الف رجل من رجال باتيستا .

ويزيد في ضراوة هذا الصراع بين كوبا واعدائها ، ان الولايات المتحدة لاتجد من الافكار مانطرحه وسط هذه المعركه سوى ان تاحد على الثوره ورجال الثورة بعدهم عن النظام الديمقراطي . فليس في النظام الجديد اثر للبرلمان . والوزراء انفسهم تحت امره باسترو . ولكن هذه الثغرات التي تجدها الولايات المتحدة في النظام الجديد تعيد على المسرح ، في شكل حي واقعي ، قصة الديمقراطيه السياسيه والديمقراطيه الاجتماعيه . لقد ادرك الكوبيون ، بحكم طبيعه حياتهم وارضهم وسكرهم ، ان الاقتصاد هو الذي يكيف السياسه . ويرى فؤادهم ان الشعب لن يكون حرا ابدا اذا لم يحقق اولا حريته في المصنع وفي الحقل . ولئن كان هؤلاء الفواد لاينكرون الديمقراطيه في مظهرها السياسي فهم يمنحون الاولوية لديمقراطية العمل .

وههنا نلتقي من جديد وعلى شكل حاد بالمشكلة العالمية الكبرى مشكلة التوفيق بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعيه . وليس المجال ههنا مجال التحدث عن امكانيات هذا التوفيق . وفي رأينا ان مواجهة هذه الصعوبة ومحاولة التغلب عليها هي الرسالة المفروضة على الانسان في كل مكان . وكل ثورة معروضة للضياع بسبب عجزها عن حل هذه المشكلة الاساسية ، وهي لابد ان تتنكب بدايتها الانسانية اذا لم تعبيء قواها في سبيل الحفاظ على وجهي الديمقراطية ، اللذين لاينفصلان .

يقول كاسترو متحدثا الى سارتر : « ان العهد الجديد كان عهدا انسانيا » . ويعلق سارتر فيكتب : « وهذا صحيح . ومع ذلك فيجب الاقرار بان كثيرا من الثورات قد استحقت في عهودها الاولى هذا اللقب الجميل ، ثم فقدته تحت عبء مهماتها الساحقة . وان مايحمي ثورة كوبا اليوم ـ وما قد يحميها مدة طويلة ايضا ـ هو ان التمرد يشرف عليها ويراقبها » . فهل صدقت نبوءات سارتر ؟ وهل ظلت الثورة الكوبية محافظة على تمردها وخطها الانساني ؟ يبدو ان خط الديمقراطية الاجتماعية اخذ يتغلب في هذه الثورة ايضا ، شأنه في الكثير من الثورات . ويبدو ان اتجاه الثورة ، بعد الفترة التي عرفها بها سارتر ، اخذ يجنح شيئا بعد شيء نحو المنازع التي يمثلها مثل « غيفارا » ، دماغ الثورة وفيلسوفها ، نعني نحو المنازع الماركسية . ولا ندري اذا كانت هذه الثورة قادرة بعد على حماية نفسها من الانزلاق نحو ديكتاتورية تطوح بالانسان باسم المبادىء وباسم الديمقراطية الاجتماعية .

وبعد هذه وقفات عابرة عندما يوحي به كتاب سارتر من افكار وما يثيره من مشكلات . ان خير مافيه مايدفع اليه من ربط وثيق بين تجربة الانسان في الثورة الكوبية وبين تجربة الانسان في كل مكان . ان حياة انسان العصر الحديث ، في نضاله ضد اعدائه وضد النظم الاجتماعية التي تحميهم ، غدت متشاكلة الى حد بعيد . والثورة في كوبا تلقي اضواء واضواء على العديد من اوضاع البلاد المتخلفة في صراعها ضد الاستعمار والاستثمار . ويجد فيها الفرد العربي مايؤكد فهمه لطبيعة المشكلات التي يعاني منها ، وما يفتح عينيه على الحقائق التي يجهد الاستعمار وانصاره في طمسها وتزييفها . على انها فوق هذا وقبل هذا انذار رهيب ، ينضاف الى اصوات الحركات الحرة في العالم كله ، ليطلق في اذن الاستعمار والرجعية صيحة الانسان في تصميمه على حماية الانسان .

الدكتور عبدالله عبد الدائم